# تقنيات القص الهازل في غزل عمر بن أبي ربيعة

**الاستاذ المساعد الدكتور**
**نضال ابراهيم ياسين**
**جامعة البصرة ـ كلية التربية**

**ملخـــص :**

يعد الشاعر عمر بن أبي ربيعة ظاهرة متفردة في الشعر العربي القديم ، إذ أنه أوقف ديوانه الشعري كاملا على الغزل ، فضلا عن أنه جاء بنمط جديد من الغزل لم نعهده عند الشعراء قبله ، فقد كان غزله عبارة عن قصص طريفة لاهية تحكي مغامرات غرامية مرحة صورت جانب من جوانب المجتمع الحجازي المتحضر في مكة .

إنها نمط جديد عكس اهتمامات مجتمع بعينه ، نشأ على وفق ظروف خاصة ، فكان بعيدا عن أمور السيا سة والعصبية التي كانت محور اهتمام الفرد والسلطة في بيئات أخرى كالعراق والشام .

لقد طغى الجانب الهزلي اللاهي على قصص عمر الغزلية حتى غدا سمة مميزة لغزلـــه ، وقد أتقن صناعته ، واعتمد تقنيات خاصة فيه مكنته من التجديد والابداع في قصصه اللاهية تلك .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا تتبع هذه التقنيات في قصيدة عمر الغزلية بما يكشف عن الجوانب الهازلة فيها . فهو أول من نهض بهذا الفن ( القصص الشعري الهازل ) وديوانه يصلح أن يكون نموذجا جيدا لدراسة هذا اللون من الشعر .

إن أظرف الشعر ، واكثره توفرا على النادرة والموقف المرح ذلك الذي يأتي ضمن قصة أو حكاية ، وبأسلوب سرد قصصي ، وقد يعني هذا ان العناصر الكوميدية يمكن التعبير عنها واكتشافها في القصة أسهل من الوصف . فالشاعر الكوميدي إذن أحوج ما يكون في عمله الى البناء الدرامي الذي يمكنه أن يرسم مشاهد تقوم على الحركة والحوار ، وتتعدد فيها الشخوص والمواقف ، وتبرز فيها المفاجآت ، والمفارقات ، ويحدث فيها التناقض .

إن القصة والحكاية هي مصدر فن القول في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وقد تمكن عمر من إبراز هذا الجانب الهازل في قصصه الشعرية الغزلية من خلال عدة تقنيات منها :

السرد بأنواعه وأساليبه المتعددة ( المتوازي ، المتواصل ، المقطوع ، والمتناثر ) والشخصية بنوعيها (ذاتية الاضحاك ، وغيرية الاضحاك ) ، والمواقف الهازلة للشخصيات بنوعيها (المتعمدة وغير المتعمدة ) ، والحوار بنوعيه ( المباشر ، وغير المباشر ) والمفاجأة .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

# Techniques Comic Story in the Poetry of Omar Ibn Abi Rabia


## Abstract :

The Poet Omar Ibn Abi Rabia aunque phenomenon in the ancient Arab poetry , he was arrested autographed his poetry full of as well as he was cam earer style of poetry did not find it in poets beforhim .

His poems spun funy stories tells the adventures of the flimsy romantic humor portraged an aspect of civilized Society in Macca . Comic Stories poetey reflecting the interest of Macci Hijazi community who has been away from politics matters and nervousnes, which was the focus of the indiricdual and the authority in other environment such as Iraq and Sham .

The comic Side on the stories of Omars spinnig poetry Dominated until it becam arecipe of courtly poetry , and he sherd its industry , and adopted special techniques enabled him to innovation , and creativity but in his comic stories .

In this research we want to follow thes techniques in the poems of Omar reveals aspects of the comic , because he first who got up this Art ( stories radiation comic ) and his bureall is fit to be agood to study this color of poet .

The nicest and most abundant poet on the rar and situation is the fun that comes within Story or anecdote , and narrative style , that mens the elements of comedy can be expression and detection in the Story is easier than the description .

The Story is aSource of Arts say in the poetry of Omar Ibn Abi Rabia , he was able to clarify the comedy side in his poem , which took afictional charater through techniquse such as : the narrative , the character , the attitudes , the dialogue , the surprise .




PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

**تقـــديـــم :**

من المعروف أن العصر الأموي هو العصر الذي تمايزت فيه البيئات العربية تمايزا واضحا لا يقبل الجدل في جوانب الحياة جميعها ، ومنها الجانب الادبي ، وجانب الشعر على وجـــه الخصوص ، فبيئة الحجاز تختلف عن بيئة العراق وهذه الاخيرة تختلف عن بيئة الشام وهكذا ...

وبيئة الحجاز في العصر الأموي من البيئات المميزة في جانب من جوانب حياتها الأدبية وهو شعر الغزل ، الذي اتجه به الشعراء اتجاها متفردا بارزا من خلال ظاهرتي الغزل : العذري والحضري ، وبتأثير عوامل بيئية مختلفة أشار اليها معظم دارسي الغزل في العصر الأموي [١]

وفي هذا البحث سينصب اهتمامنا على غزل الحواضر في بيئة الحجاز من خلال تسلـــــــيط الضوء على غزل واحد من أشهر وأكبر شعرائها على الاطلاق ، وهو الشاعر المكي : عمر بن أبي ربيعة .

إن ّ طبيعة الغزل الذي ساد حواضر الحجاز في العصر الأموي هو غزل حضري لاه ٍتسوده حالة من المرح ، وتؤطره روح الدعابة والخفة والظرف ، وبهذه الطبيعة اختلف غزل حواضـــــــر الحجاز عن سواه من الغزل في البيئات الأخرى ، وتفرد بسمات لم نعهدها عند شعراء آخريـــــــــن

إنّ حالة الظرف هي التي لونت الحياة العربية في الحجاز خلال القرن الأول الهجري بألـــــــــوان زاهية ، وأدخلت البهجة وروح المرح الى المجتمع الحجازي ، حتى أصبح الظرف الحجازي مما يضرب به المثل ، فيقال : ( دلّ عراقي ّ وظرف حجازي ) وكما جاء على لسان شا عـــر الحجـــاز : [٢]

شادنٌ يسكـــــن الشآم وفيه  مع دلّ العراق ظرف الحجـــــاز

ومما عزز حالة اللهو والمرح ، وأفشى روح الظرف والدعابة لدى أهل الحجاز عوامل متنوعة ، منها ــ فيما يبدو ــ عوامل مباشرة ، وأخرى غير مباشرة ، فالمباشرة منها تمثلت في انتشار النوادي والمجالس الأدبية والفنية ، التي لعبت المرأة فيها دورا كذلك الشاعر المتغزل والمغني ، إذ وجد كل منهما ضالته في هذه



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجالس حتى استطاع أن يساهم في حالة التطور والتحضر التي عمت المجتمع ، أما الشعراء فكان تأثره كبيرا بحكم احساسهم المرهف ، وعاطفتهم الرقيقة ، إذ كانوا أكثر تجاوبا وتفاعلا من الفئات الأخرى ، فقد أدركوا بعمق مواضع الرقة ، والعـــذوبة فانهمكوا في عشق كل ما هو جميل ، ورقيق وعبروا عن ذلك دون مبالاة بقود وموانع قد تحدّ من هذا العشق وتقيده ، فكثر القول الرقيق العذب على ألسنتهم ، وقلما كان الشعر يخـــلو من روح المرح والدعابة والخفة . ومن ثم يأتي الغناء الذي شهد نهضة في حواضر الحجاز ، إذ استحدثت نظريات للغناء " ولا غلو إذا قلنا إن ّمكة والمدينة لم تبقيا إلا ّ القليل للعصور التالية كي تضيفه الى نظريته التي استحدثتاها " [٣] ومعروف أثر الغناء في شعراء الحجاز الغزليين .

أما العوامل غير المباشرة التي ساعدت على نشأة الظرف الحجازي ، فمنها ما يخص طبيعة العرب الفنية ، وما خصوا به من موهبة البلاغة والبيان ، ومنها ما يخص قدرتهم على فنون القول من شعر وخطابة ، ومنها حالة الانسجام والألفة التي عاشها المجتمع الحجازي فيما يبدو ، ذلك لأن المرح واللهو لا يكون في حالة الشعور بالعزلة ، إذ لابد ّ من تجاوب يتيح الانســـجام والأستمرار [٤] ،ومن ثم دور الاسلام في تهذيب النفوس ، وترقيق المشاعر ، وتجاوز الـــذات بأزالة الشقاق والتنافر ، وترك التعصب . والفكاهة والهزل لا تتناقض مع هذه المبادئ مطلقا ، بل تؤكدها وتعمل على بقائها وتثبيتها في نفس الفرد ، فهي في أحد جوانبها تنطوي على عنصر أخلاقي واضح يتمثل في كونها تشرح الصدور الصدور ، وتقوم الأخلاق ، وتوحد الصلة بـــــين الناس . [٥] ومنها أيضا ما يخص الشخصية العربية في الحجاز ، وتغيير نظرتها الى الحياة ، إذ

بدأ الأنسان يتخفف من الضغوط ، وينزع الى الاستمتاع بالحياة ، والتفتح الى كل ماهو جديد وطريف يوصله الى تحقيق المتعة في كل مجالات الحياة ، وقد أعانته في الوصول الى ذلك ظروف متنوعة منها الأمن والأستقرار والفراغ ، ثم طبيعة السياسة الأموية تجاه أهل الحجاز ، والأكتفاء المادي، وانتعاش الحياة الاقتصادية .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخلاصة القول ان الشعر الظريف في الحجاز هو نمط جديد يعكس اهتمامات مجتمع بعينه، نشأ على وفق ظروف خاصة فكان بعيدا عن أمور السياسة والعصبية التي كانت محور اهتمام الفرد والسلطة في بيئات أخرى كالعراق والشام.

وبقي أن نؤكد على أن ظاهرة الهزل في الغزل الحجازي المتحضر هي نوع من المداعبات المقصودة لذاتها والخالية من الدلالات السياسية ، والفكرية ، فهي ليست قائمة على النقد اللاذع لبعض جوانب الحياة السلبية ، وبهذا فهي لم تكن على درجة من العمق ، ولم تحمل دلالات فلسفية ، كما انها لا تحتاج الى كد الذهن لفك رموزها ومعرفة ما يختفي وراءها ، وهذا يتناسب تماما مع طبيعة الغزل المرحة والبعيدة عن التأثيرات السياسية والفكرية ــ القصة الهزلية في غزل عمر بن أبي ربيعة ــ ولعل أول ما يستحضرنا من شعراء الغزل الحضري اللاهي الطريف هو الشاعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي [٦] ، الشاعر المكي القريشي الذي أوقف شعره على الغزل ، وغزله لـــــون ظريف مرح تسوده روح الدعابة والخفة ، كل هذا أودعه في قصص غزلية لاهية مرحة يقصها علينا من خلال قصائد ومقطوعات بأسلوب هازل يعتمد فيه نوعا مـــن الحوار المرح الذي يبتعد بنا عن السرد التقريري الممل ، ويدخلنا جوا من الألفة بابتعاده عـــن الصقل ، والتكلف وباتخاذه لغة يومية سهلة تستوعب حالة الظرف والدعابة التي يحاول الشاعر ان يبثها في قصائده بأساليب متنوعة باعتماده عنصر المفاجأة ، والمفارقة ، والحوار ، والسرد ، وبأساليب متنوعة .

لقد تجلت روح الدعابة والظرف في الغزل الحجازي المتحضر في غزل عمر بن أبي ربيعة، فهو الصورة الأكثر واقعية للتعبير عن حالة التحضر والظرف الحجازي ، ولأجل ايضاح الصورة لابد من تتبع غزل عمر ، والكشف عن الصورة الطريفة اللاهية في غزله ، ولأن غزل عمر في معظمه قصص وحكايات فلابد من دراسة القصة الغزلية في شعره ، والبحث في تقنيات هذه القصة بما يكشف عن الجوانب الهازلة فيها .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى هذا فنحن ــ في هذا البحث ـــ معنيون باستنباط الجوانب الهزلية اللاهية من جوانب متعددة من القصة الغزلية العمرية التي غالبا ما أخذت طابعا قصصيا عنده ، فهو أول من نهض بهذا الفن (القصص الشعري الهازل اللاهي ) وديوانه يصلح أن يكون نموذجا جيدا لدراسة هذا اللون من الشعر .

لقد تمكن عمر بن أبي ربيعة من أخراج الصور الهازلة، والمواقف الطريفة ، والافــكار المرحة ضمن اطار القصة الغزلية التي ابدع فيها إذ نظمها شعرا ، بل ان القصة أو الحكاية هي مصدر فن القول في شعر عمر . وتأتي القصة الشعرية التي تمثلت فيها الظاهرة الهزلية عند عمر بن أبي ربيعة على أشكال منها : [٧]

١ ــ قصة حوارية [٨] ، وهي التي تعتمد على الحوار أساسا في البناء الفني للقصيدة ، وغالبا ما يكون الحوار بين الشاعر وحبيبته، أو بين حبيبته وصديقاتها ، أو بين أطراف أخرى وبما يكشف عن الجانب الهزلي الضاحك في تلك الشخصيات . والقصيدة الحوارية عند عمر تفصح عن عمل قصصي لأنها تقترن غالبا بحادثة معينة " والمعروف انّ وجود الحوادث في القصيدة لا يمكن أن يعطينا عملا قصصيا إذ لم يقترن بحادثة معينة " [٩]

٢ ــ قصة المشاهد والمواقف ، وفيها يتضمن المشهد أحداث منفردة ومواقف للشخصيات ، وبأسلوب السرد والحوار السردي الذي يرد في القصة التامة .

٣ ــ قصة غزلية تامة ، وتتألف من سلسلة أحداث وشخصيات وزمان ومكان ، ويكون الســرد والحوار السردي هنا أساسا في البناء الفني للنص العري ، وهما اللذان يتحكمان في تطور النص الشعري ، ويمكن أن نسمي السرد في مثل هذه القصص بالسرد المكثف أو المركز ، ويتحقق هذا النوع من السرد في قصائد عمر الغزلية التي تحوي حدثا تاما أو قصة تامة من خلال أشكــال سردية اعتمدها عمر في قصائده ، ويلاحظ أن ّ لهذه الجوانب السردية دورا في بلورة الظاهـــــرة الهازلة ، والمساهمة في ابرازها وتنوعها في شعر عمر ومن هذه الأشكال :



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

**أ ــ ســـرد متـــــواز**

ويأتي من خلال سلسلتين من الأحداث ينشئها الشاعر ويقوم بها شخصان هما: الشاعـــــر ومحبوبته ، أو بدخول بعض الشخصيات ، وعندها تنقسم الأحداث في القصيدة على مرحلتيـــن يتضاعف السرد في المرحلة الثانية حتى تلتحم الأحداث في النهاية ، وفي كل ذلك يساهم الحـــــوار في تطوير الأحداث ، ويساهم في الكشف عن الشخصيات ، ويوضح صورها ، ويخفف كثيرا من الرتابة التي قد تدخلها هذه الطريقة السردية المركزة ، ومثل هذا السرد الممزوج بالحوار نجـــده في قصيدته هذه ذات الحدث الواحد ، إذ يقول : (١٠)

ولقد دخلت البيت يُخشى أهله  بعد الهـــدو ّوبعد ما سقط النـــــدى
لمّا دخلت منحت طرفي غيرها  عمدا مخافة أن يُرى ريع الهـــــوى
فـــوجدت فيه حُرّةً قد زيّنـــتْ  بالحُلي تحسبه بها جمـــــــر الغضا
كيما يقول محـــــد ّث ٌلجليسه  كـــــذبوا عليها والذي سمك العُـــلى

في هذه الأبيات يحكي عمر موقفه هو وقد دخل دارها ، فيحدثنا عن نفسه ، ثم تأتي سلسلة أخرى من الأحداث بدخول شخصية المحبوبة وأترابها فيتبادلن هذا الحوار :

قالت لأتراب ٍ نواعم حولها  بيض الوجوه خرائدٍ مثل الدّمـــــى
بالله رب ّمحمد ٍ حدثـــنني  حقا أما تعجبن من هذا الفتـــــــــى ؟
الداخل البيت الشديد حجابه  في غير ميعاد ٍأما يخشى الـــــرّدى ؟

وتلتحم السلسلتان أخيرا في أبيات الشاعر التالية :

فأجبتها إن ّالمحبّ معـــــوّد ٌ  بلقاء من يهوى وإن خاف العـــدى
فنعمت ُبالا ًإذ ّدخلتُ عليـــــهم  وسقطتُ منها حيث ُجئتُ على هوى
بيضاءُ مثل الشمس حين طلوعها  موسومةٌ بالحسن تُعجب مـــــن رأى

ويلاحظ أن ّ عدم الجد هنا يكمن في التناقض الواضح بين وصفه للبيت بأنه شديد الحجاب ، وان أهله يُهابون ويخشى بأسهم ، وبين دخوله البيت على مشهد من أهله ، ومعابثته للمرأة ، إذ هـــــــي تسأل متعجبة : ألا يخاف هذا الرجل إذ يقتحم



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيت دون ميعاد سابق ؟ ويبدو في سؤالها شيئ من المزح وعدم الجدية ، ويأتي دوره هو في الرد عليها مازحا مداعبا متظاهرا بالخوف قائلا : ( إنّ حبك أقوى من الخوف ، وأنا من أجله أقتحم الأهوال وأتحدى المصاعب ) وتبدو الروح الهـــازلة المرحة واضحة في أبيات القصيدة بأكملها خاصة في القسم الثاني من الأحداث ، إذ يدور الحــوار بين الفتيات على شكل سؤال وجواب ، فهي تسأل متعجبة مستنكرة هازلة على عادتها في السعي للكشف عن مكانتها في نفس عمر ، ولأنتزاع كلمات الحب والأعجاب بطريقة ماكرة ، ويجـــــــبن عن سؤالها بما يريحها ويرضي غرورها ، ويبدو أن الاستفهام أسلوب شاع عند عمر في رســـم المواقف الساخرة ، والكشف عن التعبيرات الطريفة ، وابراز المشاهد الهازلة والقائمة منها على الحوار خاصة ، ذلك لأن الاستفهام من الصيغ المهمة التي يتكئ عليها الأسلوب الحواري ، ومن السمات التي تتسم بها فنية الحوار لما لها من إثارة للذهن ، وتشويق لمعرفة جواب الأسئلة . [١١]

**ب ـــ ســـــرد متواصـــل :**

ويأتي من خلال قصة واحدة أو خبر قصصي واحد تتتابع أحداثه فتؤلف في مجملها مغامرة غزلية واحدة أحداثها غير منفصلة ، وخير مثال على ذلك " قصيدته الرائية " ، إذ تتتابع الأحداث فيها متواصلة ، ومع أن هذا النوع من السرد لا يحمل معه غالبا مفاجأة ذلك لأن تتتابع الأخبـــــــار يفوت علينا الفرصة لإكتشاف المفاجأة أو الأستمتاع بها ، إلا أنّ العناصر الهزلية كانت حاضـــــرة في تلك القصيدة من خلال المواقف ، والتعبيرات ، وطبيعة الحدث أيضا ، وسوف نأتي على ذلك في حديثنا عن الموقف الهازل غير المتعمد .[١٢]

**ج ـــ ســـــــرد مقـــــطوع :**

وفيه يسوق الشاعر الخبر أو القصة ضمن حوار سردي متواصل سرعان ما يدخل عليه حدث مفاجئ ، وحينئذ تكون المفاجأة ممتعة ، وباعثة على الدهشة ، ومحققة للجانب الهازل الطريف في القصيدة ، ويتحقق هذا عند عمر غالبا في



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قصائد قصيرة أو مقطوعات ، فيكون أسلوبا مكثفا ، وقد يدخل جانب المبالغة ، وهذا يساعد بدوره في إبراز الطابع الفكاهي في القصة ، ويثـير الأعجاب والدهشة ، وفي إحدى قصائده يحاول عمر من خلال حوار هازل طريف بين إحدى صاحباته وأتراب لها أن يوصلنا الى نقطة التوتر ، ويثير إنتباهنا ، ويحقق المتعة بعدها من خلال عنصر المفاجأة الذي يتحفنا به في الوقت المناسب ، إذ يقول : (١٣)

قالت لها الصغرى وقد حلفتْ　　بالله لا يأتيكما شهـــــــــرا
فتنفستْ صُـعـدا لحلفتهـا　　وهوت ْفشقـتْ جيبها فطـرا
وجرتْ مآقيها بأدمعـــــها　　جزعـا وقالت :حبّ من ذكرا

وبعدها يقطع الحوار ليطل علينا بمفاجأة طريفة إذ يقول :

بينما تحاورهن ّقمـت ُالى　　أقفائهـــــن ّ لأسمـــع الحـــورا
فأراب إحداهـن ّفالتفتـت ْ　　وطـئي فلما أثبتـت ْ نظـــــــرا
قالت لهـن ّ أخو مجاهرةٍ　　قد جاءنا يمشي ومـا استتـــــــرا

فقد تعمد مفاجأتهن ّ إذ تسلل خلفهن فحقق بذلك مفاجأتين : أولاهما، أنه حظي بسماع حديثهن الخاص فكان ذلك مفاجأة له ولهن في آن واحد ، إذ أن مضمون الحديث يكشف غالبا عن ولعهن الشديد ، وسعيهن للإيقاع به ، وهذا ما يمتنعن من البوح به أمامه غالبا ، وما يتمنى هو سماعه وإن كان عن طريق المصادفة ، والمفاجأة حاصلة في كلا الأمرين إذن .

أما المفاجأة الثانية فكان وجوده بينهن على غير موعد أثار دهشتهن وارتباكهن . ونلحظ مثل هذا السرد أيضا في قوله وهو يكشف عن مفاجأة جديدة تضفي بدخولها على الوضع القائم شيئا من البهجة والرضا لنفس أسماء الحزينة لفراقه ، ولنا نحن المترقبون لما يطربنا ، ويـداعـب أنفسنا : (١٤)

تذكرت ُإذ قالت ْغداة سويقـةٍ　　ومقلتها من شدة الوجد تدمعُ
لأترابها ليت المغيري إذْ دنتْ　　به دارهُ منّا أتـى فيـــودعُ

ويجتهد عمر في خلق الظروف المناسبة لظهور المفاجأة ، فيصور هندا وهي أشد ما تكون حاجة لرؤيته ، إذ أفصحت عن رغبتها هذه لأترابها ثم يأسها التام من



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رؤيته مرة اخرى ، وفي وســـــــط كل هذا يدخل هو فجأة دون سابق إشارة لقدومه وسط جو من الفزع والحذر والترقب ، ويبدو هذا في لهجة الحوار بينها وبين أترابها ، وبحصول المفاجأة يتغير سير الأحداث ، ويبدأسرد جديـــد ، وحوار جديد آخر ، فيقول :

فما رمتها حتى دخلت ُفجاءةً عليها وقلبي عند ذاك يُــروّع ُ
فقلن حذار العين لمّا رأينـــي لها : إنّ هذا الأمر أمرٌسيشنعُ
فلما تجلّى الروع عنهنّ قلن لي : هلمّ فما عنها لك اليوم مدفــع ُ

ويتضح الأمر الهازل في موقفهن المتناقض في حالتين : الأولى عندما فوجئن بمقدمه فقلن ــ وكأني بهن يداعبنها إذ أبدين لها شناعة الأمر وعظمه لما وجدن ارتباكها وقلقها ــ ( أنه لأمر شنيع أن يأتي الساعة من تحبين ) وقولهن بعد ذلك بقليل ــ وبعد أن حققن مرادهن بمداعبتها ومعابثــتها ــ ( تعال لا ضير فنحن لا نرى لها عنك اليوم مدفع ) وكأنهن في كل ذلك كن ّ هازلات غير جادات فيما قصدن ، وذلك لتحقيق المتعة ، وخلق الجو المرح .

ويلاحظ أن المفاجأة هنا وفي الكثير من قصص عمر هي العامل الاساس في تغيير طريقة سرد الأحداث بدخول حدث جديد مفاجئ ، فهي التي تقف غالبا وراء القطع الحاصل في عملية سرد الأحداث ، إضافة الى أن المفاجأة في معظم قصائد القصص الغزلي عند عمر هي أشبـــــــه بالمفارقة الهازلة الطريفة التي تكشف عن حدث جديد غير متوقع ، أو تكشف عن تناقض بين حالين بما يقلب إدراكنا للأحداث والمواقف .

## د ــ ســـرد متناثر ( متشظ )

وضمن هذا اللون من السرد تروى الأحداث على شكل مبعثر أو متناثر حتى تبدو وكأنها لا رابط بينها سوى شخصية البطل ، إذ هي واحدة تظهر في كل حدث من الأحداث المتناثرة فتوحدها ، وغير هذا فلا تبدو القصة هنا واحدة متسلسلة ذات امتداد زمني أو ذات حبكة ، إنما هي مجموعة مشاهد بطلها واحد تروى متفرقة



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بطريقة متفرقة هي الأخرى ، والشاعر فيها يقترب من قص حدث ولكن دون أن يلم بعناصره كلها ، وهكذا يبقى عنصر التشويق قائما ، وتبقى رغبة المتابعة لدى القارئ قائمة أيضا للوصول الى نهاية مشهد أو موقف أو حدث يبدو هنا أشبه بالمتاهة ، ولعل أوضح مثل على ذلك دالية عمر الشهيرة التي يقول فيها : (١٥)

ليت هــندا أنجزتنــا ما تعــدْ  وشفتْ أنفـــسنا ممـــا تجدْ

وبعد أن يحدثنا عمر عن أمنياته ، وتقلب أحوال هند معه، سرعان ما ينتقل بنا الى مشهد جديـــــــد تتحاور فيه هند مع أخريات حملن لها شيئا من الحسد والغيرة ، يقول ، وقد انتقل الى أسلوب سرد حواري :

زعموها سألت جـــاراتــها  وتعرتْ ذات يومٍ تبـــترد ْ
أكمــا ينعتنـــي تبــصرننـــي  عمركن الله أم لا يقتصـــــــدْ
فتضاحكن وقد قلـــن لهــا  حسنٌ في كل عيــنٍ من تودْ
حســدا حُمّلــنه مــن أ جلها  وقديما كان في الناس الحسدْ

ثم انتقل الى وصف محاسنها وبأسلوب السرد الوصفي ، فقال :

غــادةٌ تفترّ عــن أشنبـــها  حين تجلوهُ أقاحٍ وبـــرد ْ
ولها عينـــان في طـــرفيهما  حَوَرٌ منها وفي الجيد غَيَـــد ْ
طفلةٌ بُاردةُ القيـــــــظ إذا  معمعان الصيف أضحى يتّقدْ

ومرة أخرى ينتقل بنا الى حدث جديد فيتذكر حوارا كان قد حصل بينهما ، ويلاحظ الطابع الهزلي الحاصل في تناقض قولين وموقفين في بيتين متواليين إذ يقول على لسانها :

قلتُ من أنت ؟ فقالت : أنا من  شفـّـــه الوجد وأبلاه الكــمدْ
نحنُ أهل الخيف من أهل منى  ما لمقتول قتلناهُ قـــــــودْ
قلتُ: أهلا أنتــمُ بغيــتنـــا  فتسمّيــن فقالت : أنا هــندْ؟!!

فهي مقتولة وقاتلة في آن واحد ، وهذا تناقض يفضي الى مفارقة طريفة توحي بالهزل وتبتعد بنا عن الجد ، ويلاحظ أن سرعة التحول من قول الى قول هائلة إذ جاءت في بيتين متلاحقين ، وهذا مبعث التناقض الهازل الذي قلب الموقف بأكمله الى موقف هازل ، وبعد هذا الحوار الطريــف الذي استند الشاعر في روايته على الزمن



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحاضر، ينتقل الى حدث جديد وأسلوب سرد آخر وفي زمن آخر وهو الزمن الماضي ، فيقول :

حدّثوها أنّها لي نفــثــتْ عُــقدا يا حــبــذا تلك العــقدْ

ويقفز مرة أخرى وبسرعة الى أسلوب جديد متحولا من أسلوب القص بالماضي الى الحاضرمرة أخرى إذ يقول :

كلما قلتُ متى ميعــادنا ضحكتْ هندٌوقالتْ: بعد غــدْ

وهكذا تعددت المواقف والمشاهد ، وتعدد أسلوب القص وزمنه دون أن يكون هناك حـــــــــدث ذو امتداد زمني متسلسل ، بل بدت الأحداث متفرقة مبعثرة والذي جمع بينها هو شخصية البطـــــــــل (هند) ويلاحظ أن السرد المتناثر لا يفضي الى مفاجأة أو لا تتخلله مفاجأة غالبا ، بل أن كل مشهد من مشاهده ، وكل موقف هو بمثابة مفاجأة لقارئها .

## الشــخصيّة :

وهي من الظواهر المهمة التي يعزى اليها جانب كبير من جوانب الظرف والدعابة في القصيدة الهازلة ولاسيما ما جاء منها وفق أسلوب قصصي ، فالشخصية من العناصر الأساسية في العمل القصصي ، وتظهر أهميتها من خلال ارتباطها بالأحداث ، ومن الشخصيات ما تكون جاهـــــــــزة وهي التي تظهر في العمل القصصي مكتملة دون إحداث أي تغيير عليها خلال سير الأحـــــداث ، ومنها شخصيات نامية ، وهي التي يحدث لها تغيير وتتطور مع أحداث القصة ، وفي الشعـــــــــر الهازل وجدنا أن الشخصية من العناصر الأساسية والمهمة في خلق الفكرة الهازلة المرحـــــــــــة ، وصناعة المواقف الطريفة ، والشاعر يعتمدها أساسا في الاضحاك وخلق الجو المرح و ذلـــــــــك عندما يعتمدها عنصرا مباشرا لذلك ، وأحيانا يتخذها وسيلة لصنع الحدث الهازل ، والجو المرح ، والموقف الضاحك بمساعدة عوامل اخرى أي انها تصبح وسيلة اضحاك غير مباشرة ،وعلى هذا فالشخصية في القصة الهازلة تكون على نوعين :



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ ــ شخصية مرحة ، مضحكة بطبيعتها ، بشكلها وهيأتها وسلوكها، وكل ما يصدر عنها باعث على الضحك ، ويمكننا ان ندرك هذا اللون من الشخصيات في شخصية البخيل ، والزوجة المشاكسة اللسنة ، والأكول السمين ، والمغفل الغبي ، والقبيح ، وصاحب العيوب الخلقية كلها شخصيات تبعث على الضحك ويعد الشاعر من خلالها خلق جو من المرح ، ولكن مثل هذه الشخصيات لم نظفر بها في القصيدة العمرية فشخصيات عمر في قصصه اللاهية المرحة نمط مخالف تماما لهذه الشخصيات فهي إذن النمط الثاني منها .

٢ ــ شخصيات غير مضحكة بشكلها وهيأتها وسلوكها ، فهي لا تثير الضحك بمظهرها الخارجي ، إذ لاتوحي حركاتها وأفعالها وسلوكها بذلك ، إنما هي غالبا شخصيات متكاملة من جميع جوانبها ، فهي نبيله ، ذات نسب وشرف ، وهي غاية في الجمال والرقة ، كما هو الحال في شخصيات عمر بن أبي ربيعة النسوية (كهند والرباب ونعم والثريا وزينب وغيرهن كثيرات) فشخصيات عمر المرحة الهازلة إذن شخصيات من هذا النمط ، شخصيات طبيعية غير شـــاذة ولاغريبة ولا قبيحة ، فهي ليست باعثة على الضحك لا في مظهرها الخارجي ، ولا في سلوكها وأفعالها ، والشاعر لا يتخذ منها وسيلة للأضحاك ، فهي لا تصلح ان تكون كذلك ، ولكن مع ذلك فأن عمر يعمد الى خلق الدعابة والمرح من خلال هذه الشخصية وبمساعدتها فهو وبمساعدتها يصل الى الحدث الطريف والحوار المرح ، والموقف الهازل ، والفكرة اللطيفة ، فالشخصية العمرية تساهم في خلق الدعابة ولكن بشكل غير مباشر ، فالشاعر هنا جردهـــا من العناصر الأساسية والمباشرة في خلق الفكاهة ، ولكن تبقى الشخصية في العمل القصصـــي (العمري ) هي العنصر المهم والأساس في خلق الأحداث ، وصنع الحوار ، وابراز المواقف والمفاجآت ، وعمر في عمله لا يستعين بشخصية مجردة لصنع الدعابة والمرح ، وإنما بعدّها عنصرا مهما من عناصر القص ، وعنصرا مكملا لمجموعة عناصر تشترك جميعها لأظهـــار حالة من التندر والهزل والطرفة الراقية والتي قد تبرز من خلال حدث أو حوار ، أو مشهد ، أو موقف ، ومن هنا ولأننا معنيون بتتبع تقنيات القص



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهازل في القصة الشعرية عند عمر بن ابي ربيعة ، رأينا ان نكشف عن هذه الآليات في الشخصيات العمرية ولأن الشخصية العمرية لا تنهض بهذه الظاهرة الا من خلال فعاليات أسندت اليها ، فعلينا تتبع هذه الفعاليات أو الآليات بما يكشف عن طابع المرح والهو في القصة الغزلية عند عمر ومنها :

**المـــــواقف الهازلة للشخصيات :**

ويقصد بها المواقف الفكهة الهازلة لإحدى الشخصيات أو مجموعة منها في القصيدة الغزلية سواء أكان هذا الموقف متعمدا من جانب الشخصية أم غير متعمد كأن يكون نتيجة لغفلة وعدم دراية ، بحيث يخلق هذا الموقف مفارقة طريفة تبعث على الضحك ، وتشيع جوا من المـــــــرح .

وفي القصيدة الغزلية بشكل عام وقصيدة عمر بشكل خاص تتعدد المواقف وتتنوع وتختلف باختلاف الشخصيات صانعة المواقف ، فقد يكون البطل (الشاعر) ، وقد تكون المرأة (الحبيبة) ، وقد تكون إحدى صاحباتها أو جميعهن يشتركن في رسم الموقف . وموقف الشخصية في القصة الغزلية الهازلة عند عمر تكون على نوعين :

**١ ـــــ الموقف الهازل المتعمد :**

ويطالعنا مثل هذا الموقف كثيرا في شعر عمر إذ أن الشخصية صاحبة الموقف تتخذ موقفا تحاول من خلاله العبث بمشاعر الشخص المقصود للنيل منه أو كشف ما يظنه مستـــــترا ، أو ادعائه لأمور لم تحصل ، وأفعال لم تقع لمراقبة رد الفعل من جانب ذلك الشخص ، كـــــل ذلك يجري بروح مرحة ، وميل للمزحة والتندر والمداعبة ، وهذا كفيل بخلق الموقف الهازل الذي يبتعد فيه الشاعر عن الجدية والصرامة . وفي إحدى قصائد عمر الغزلية التي يقول فيها : [١٦]

هيج القلبُ معـــــانٍ وصيـــر دارساتٍ قد علاهـــنّ الشـــــجرْ

يطالعنا مثل هذا الموقف الفكه من خلال قصة لقاء عمر بإحدى صاحباته ، وما سبق هذا اللقاء من استعدادات من جانب الفتاة . يقول الحدث إن إحدى صاحبات



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عمر مع أتراب لها كن ّيتمشين بمرح وسرور في يوم ربيعي بهيج ، فإذا بها تقترح عليهن ّأن تتمنى كل واحدة منهن ّأمنيـــــة في سرّها ثم تعلنها بعد حين للجميع فيعرفن جميعهن بالأمنية ، واذا بالفتيات يتفقن جميعا على أمنية واحدة يقمن بإعلانها بعد حين على مسامعها متضاحكات متغامزات وهي أن يرين الساعة عمر ، ويجتمعن به ، فيقضين وقتا طيبا بصحبته .

للـــتي قالت لأتراب ٍ لهـــا قُطف ٌفيهنّ أنـــسٌ وخـــفـــر ْ
إذْ تمشين بجـــو ٍ مـــونق ٍ نيّـــر النبت تغشّاه ُ الز ّهـــــر ْ
بدمـــــاث ٍسهـــلة ٍزيّنهـــا يوم غيم ٍ لم يخالطه قتـــــــر ْ
قد خلونا فتمنين بنـــــا إذ خلونا اليوم نُبدي ما نُســـر ْ
فعرفن الشوق في مقلتها وحَباب الشوق يُبديه النظـــر ْ
قلن يسترضينها :منيتنا لو أتانا اليوم في سرّ عمـــــر ْ

وهذه الأمنية بطبيعة الحال لم تأت أعتباطا إنما لعلمهن الأكيد برغبتها الشديدة لرؤيته وكتمانها لهذه الرغبة عنهن ، والأفصاح عنها بشكل غير مباشر بما يشبه المداعبة ، والأستغفال ، ولكن ذلك لم يخف عليهن ، فكان موقفهن منها موقف العارف المتجاهل ، هن يعرفن ما تتمنى وتريد فيتجاهلن ذلك متعمدات قاصدات للمداعبة والمزح ، وهن يعرفن يقينا أنها ستلقي عمر في هذا المكان لأنها واعدته مسبقا ، ولكنهن يتغافلن عن مطلبها عابثات لاهيات ، ويستمر هذا الموقف الهازل مع تسلسل الأحداث ، إذ يأتي عمر فيبصرنه من بعيد وهن يعرفن شخصه تماما ولـــــكن يتغامزن مرة أخرى لإيهامها بغفلتهن عن كل شيء .

بينما يذكرنني أبصرننـــــي دون قيد الميـــل يعدو بي الأغـر ْ
قلن َ: تعرفن الفتى ؟ قلن :نعم قد عرفناه ُ وهل يخفى القمـــــــر
ذا حبيب ٍ لم يُعرج دوننـــا ساقه ُالحَين ُ إلينا والقـــــــدر ْ
فأتانا حين ألقى بركـــــه جَـمَـل َالليل ُعليه واســـــبطرْ
ورضاب ُ المسكِ من أثـوابه مرمر َالماءَ عليه فنـضـــــــر ْ
قد أتـــانا ما تمنينا وقد ْ غـيّـب َ الإبرامُ عـنّا والقـــــدرْ



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتوحي عبارة (قلن تعرفن الفتى قلن نعم ) بأن منهن من ينكرنه ، ومنهن من يؤكدن معرفتهنّ به وهذا دليل اتفاق مسبق بينهن لأتخاذ مثل هذا الموقف الهازل ، فالجميع يعرفنه من دون شـــــــك ، ويعلمن موعدها معه ، ولكن أردنَ أن يعبثن بها ويتخذنها مجالا للتندر عندما قررن بعد كل هذا أن ما ساقه اليهن القدر والصدفة وليس غير .

إذن فهو موقف الفتيات تعمدنه لخلق الجو المرح الهازل ، موقفهن من الفتاة المحبة لعمر بعد ما رأين ما بها من شوق ورغبة للقائه ، وما أضفت من حيل وأساليب لتحقيق تلك الرغبة .

وشبيه هذا الموقف موقف آخر في قصيدة أخرى يقول في مطلعها : [١٧]

ذكرُ الرباب ِــ وكان قد هجرا ذكـــــرة قُرينةَ أحدثت وطــرا

إنها قصيدة هازلة أو قصة هازلة بحبكتها ومواقفها وأحداثها ، وما يهمنا هنا موقفان : الأول : موقف الرباب وقد ادعت أنها توجست شيئا في داخلها واستدلت من خلاله انها سترى عمر ، وانه قريب منها ، والحقيقة انها موقنة تماما أنها ستراه لأنها وعمر متواعدان على ذلك اللقاء ولكنـــها ادعت خلاف ذلك لتربيها عابثة بهما ، ومستغفلة لهما ، ولكنهما سرعان ما عرفتا فكان لهـــــما موقف آخر يفيض بالدعابة هو موقف العارف المتجاهل الذي تمادت الفتاتان من خلاله للعـــــــــــبث بالرباب والسخرية منها ، واستفزازها .

قالت لتربيها : بعمركمـــــــــا هل تطمعان بأن نرى عُـــــــمرا
إنّي كأنّ النفسَ موجســـــــةٌ ولذاك أطـــــــمعُ أنّه حَضـــــرا
فأجا بتاها في مُـــهـــــــــازلةٍ وأسرّتا من قولها ســـــخـــــــرا
إنّا لعمرك ما نخافُ ومـــــــا نرجـــو زيـــارة زائـــرٍ ظـــهرا
لو كان يأتينا مجاهـــــــــرةً فيمن تـــرين إذاً لقد شـــــــهرا
قالت لها الصغرى وقد حلفتْ بالله لا يأتيـــــــكمـــــا شـــــهرا
فتنفستْ صُعُـــــدا لحلـــفتها وهـــوتْ قشقتْ جيبها فطـــــــرا
وجـــــرتْ مآقيها بأدمعهـــا جـــزعـــاً وقالتْ: حبّ من ذُكرا



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن رغبة الرباب الملحة في رؤية عمر دفعتها الى التوسل والتذلل لتحقيق هذه الأمنية ، كما دفعتها الى إخفاء أمور أخرى ، ولكن كل ذلك بات مكشوفا ، وباتت هي سبيلهما للتندر والسخرية ، وفي البيت الثالث تعبير صريح عن موقفهما المتعمد الهازل منها ، وقولهما الساخر لها ، فقــد رفضتا اقتراحها برؤيته وقت الظهيرة خوف افتضاح أمرهن جميعا ، بل تمادت الصغرى في إغاظتها والعبث بمشاعرها حينما قالت أنه لن يأتي حتى بعد شهر ، ويبدو أن هذا الأصرار علــى الرفض من جانب الفتاتين ، ووقوفهما حائلا بينها وبينه كان لأجل إغاظة الرباب ، وحملها علــى المزيد من التوسلات حتى تكون مبعث سخريتهما ، وهما في كل ذلك ليستا جادتين تماما في كـــل ما تفعلانه بها ، إنما كانتا تسعيان للتندر وخلق جو مرح وبما يعينهن جميعا على قضاء وقتهــن بأمتع ما يكون ، وربما كانت أيضا متلهفتين لرؤيته ، بل أكثر شوقا منها ، ألم يكن هو شغل النساء الشاغل ؟ !!

وفي مقطوعة أخرى يحاول عمر أن يصور موقفا طريفا آخرلإحدى معشوقاته ــ وهي هند ــ التي بدت لسنة تحاول ان تثير انتباهه، وتستفزه وتسخر منه بكلام هازل تتوجه به الى أترابها وهي موقنة أنه يصل أسماعه لا محالة ، بل أن هدفها منذ البداية عمر ، وما أترابها الــلآئي خصتّهن بالحديث إلا وسيلة للعبث به والتندر منه ، يقول عمر على لسان هند : [١٨]

ثمّ التقينا بالمصّب غـــــــدوةً والقلب يخلجه ُلها أشطــانــه
قالت لأترابٍ لها شبه الدّمـــــى قد غاب عن عمر الغداة َبيانه
ما لي أراهُ لا يسدّ د حجـــــةً حتى يُسددها له أعــوانـــــه
مثلُ التي أبصرتُ يوم لقيتهـــا عيّ الخطيب ُبه وكلّ لسانـــه
أسعرت نفسك حبّ هندٍ فالهوى حتى تلبّسَ فوقه ُ أكفانـــــــه
هندٌ وهندٌ لا تزال بخيــلـــــةً والقلب ُ يسعرهُ لها أشجانـــه

تبدأهند موقفها الساخر بالتساؤل ، فقد تساءلت متعجبة من أحواله مستنكرة لها ، إذ صار على غير ما عهدته يجانب الصواب ، ولا يهتدي اليه إلا بمساعدة أعوانه ، بل صار في مقام من توجه إليه النصيحة ،( فأين ذهبت حججه التي طالما خدعني



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بها ؟ أين ذهب لسانه الذي طالما جذبني بحلو حديثه ؟ هل عجز عن الإبانة ؟ هل كلّ لسانه عن الكلام ؟ ) وكأنني بها قد بلغت بكلامها هذا ما أرادت من التشفي به ، والنيل منه سخرية وغمزا وتهكما . وبعد هذا فالموقف الهـــازل في النص قد تأتى من شيئين هما :

١ ــ الطريقة غير المباشرة في توجيه الكلام الى عمر بعد أن اتخذت من الأتراب وسيلة لذلك ، وعلى طريقة : ( إياك أعني واسمعي يا جارة ) وبهذا فقد حاد أسلوب هند عن الجدية ، ودخل جانب اللهو والعبث .

٢ ــ مضمون الحديث الذي توجهت به هند الى أترابها قاصدة عمر ، فهو من نوع الحديث الصادر من زوجة لسنة ، وقد اكتشفت ثغرة تنفذ منها الى ما يشفي غليلها من زوجهـــا ويبعث الطمأنينة والراحة في نفسها . ولا نستبعد أن تكون هذه المرأة هي زوجة الشاعـــــــر ، ومثلها أخريات في قصائد ومقطوعات أخرى قصد الشاعر فيها المرأة الزوجة ، ولا بأس أن يكون الشاعر قد تزوج مرات ، وطلق مرات ، ولا بأس أن يكون طلاقه لبعضهن رجعيا يتيح له فرصة العودة والصلح ، وهذا ما لمسناه بشكل واضح في بعض قصائده . [١٩]

وهناك إشارات كثيرة يبدو فيها الشاعر محاورا زوجته واصفا أحوالها معه ، وغضبها منه بعد أن هجرها أو طلقها فأراد الرجوع اليها ثانية ، وربما يفسر لنا هذا حرية الشاعر الكبيرة فـــي التعبير عن علاقته بالمرأة ، ووصف لقائه بها ، ولهوه معها على مرأى ومسمع من أهلها وجيرانها ، واقتحامه بشكل متواصل بيتها في ساعات الليل المتأخرة لرؤيتها ، ثم وصفه غيرتـــها ، وغضبها حين يهجرها لأخرى ، وهذا هو شأن الزوجات الغيورات المحبات لأزواجهـــــــــن ، أو هو شأن الزوجة التي تجد نفسها ضمن سلسلة من النساء الأخريات اللآتي يشتركن جميعا في حب رجل واحد تريد كل منهن أن تستأثر به دونهن جميعا . وبع فما الذي أطلق عنان الشاعر بهذا الشكل ، وأباح له كل شيئ ، وحرره من القيود التي كثيرا ما أعاقت الشعراء من التعبير عن مكنونات أنفسهم ، وحالات لهوهم ومرحهم ، ربما يقف وراء كل ذلك ما ذهبنا إليه وهو أن المرأة المقصودة هي



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزوجة ، وربما يكون ذلك وراء كثير من المواقف الهازلة ، والأحداث المرحـــــة ، والمشاهد الطريفة ، والمفارقات الحلوة التي ينقلها لنا عمر من دون تحرج ، أو تلميح ، وهي مبثوثة في ديوانه بكثرة ، فالعلاقة الزوجية قد تتيح الفرصة لنشوء تلك المواقف ، والأحداث بكثرة لما تحققه من تقارب وامتزاج بين اثنين ، وكشف خفايا كل منهما ، وأسراره للآخرومعرفة طباعه ، ونواياه مما لا تتيحه انواع أخرى من العلاقات .

وفي إحدى قصائده التي تحكي حدثا طريفا متوفرا على موقف طريف حاول الشاعر ان يبرزه من خلال السرد الممزوج بالحوار ضمن الحدث الواحد في القصيدة ، يقول : (٢٠)

ولقد دخلتُ البيت يُخشى أهله بعد الهدوّ وبعدما سقط النّدى
فوجدتُ فيه حرّة قد زيّنـــتْ بالحُلي تحسبه ُبها جمر الغضى
لمّا دخلت ُمنحت ُطرفي غيرها عمدا مخافة أن يُرى ريعُ الهوى
كيما يقول محدّثٌ لجليســه كذبوا عليها والذي سمك العُلـــى
قالت لأتراب ٍنواعم َحولـــها بيض الوجوه خرائد ٍمثل الدّمـــى
بالله ربّ محمّـــــدٍ حدّثنـــي حقا أما تَعجبن َمن هذا الفــتى ؟
الداخل البيت الشديد حجابـــه في غير ميعادٍ أما يخشى الــرّدى
فأجبتها أنّ المحبّ معـــــوّد بلقاء من يهوى وإن خاف العدى
فنعتُ بالا ً إذ دخلتُ عليهــمُ وسقطتُ منها حيثُ جئتُ على هوى

ويبدو الجانب الهازل في أحداث هذه القصة الطريفة التي قامت على تبادل المواقف الكيدية المتعمدة بين الشاعر ومحبوبته والتي تفضي بدورها الى الدعابة والمزح دون أن تدخل دائـــــــرة الجد والفعل المقصود ، فموقفه المتعمد بدأعندما دخل دارها(لما دخلت منحت طرفي غيرها ) فتجنب النظر اليها ، ونظر الى آخر ، وربما الى أخرى إمعانا في إثارتها ، أما موقفها هي فقـــــد صوره من خلال الحوار الذي دار بينها وبين صاحباتها ، وعلى طريقة الــسؤال والجواب ، هي تسأل متعجبة مستنكرة على عادتها في السعي للكشف عن مكانتها في نفسه ، ومدى



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حبه لها ، ولأنتزاع كلمات الأعجاب والحب منه بطريقة ماكرة ، ويجبن عن سؤالها بما يريحها ، ويحقق رغبتها ، أو يجيب هو عنهن لأنه سمع سؤالها وعرف مرادها .

ونكرر هنا ملاحظتنا السابقة ، وهي أن المرأة التي صورها عمر في نصه هذا أقرب أن تكون زوجته ، وكأنه فارقها زمنا فحدثته نفسه أن يعاود وصالها من جديد ، فيتخذ كل التدابير الكفيلة لرجوعها اليه ، وهو يعلم تماما أنها لا زالت على عهدها له ، وتبدأ هي بدورها بالتنكر للأمر والإستخفاف به ، ومن ثم التمنع والتدلل،وكل هذا يصلح أن يكون مقدمة مناسبة للصلح وقبول الأعتذار من جانبها ، ولو عاودنا النظر في الأبيات الأولى التي قصّها الشاعر بالزمن الماضي ندرك بوضوح أنه اقتحم بيتها كي يراها ، ولم يتفقا على اللقاء مسبقا فيما يبدو لأنه دخل عليها دون سابق انذار في بيتها بين أهلها ، وربما بحضور حشد آخر من الناس بدلالة قوله : (لمّـــا دخلت منحت طرفي غيرها ) وقوله ( كيما يقول محدث لجليسه) وقوله : ( قالت لأتراب نواعم حولها ) وقوله : ( فنعمت بالا إذ دخلت عليهم ) ، وهذا كله لا يدع مجالا للشك في أنه أقبل على حبيبته وكانت بين أناس كثر جلساء ومتحدثين ، نساء ورجال ، أتراب وأهل .

نتساءل بعد هذا أحقا قصد عمر فتاة يحبها في مغامرته هذه المحفوفة بالمخاطر والأهوال ؟ أظن ظنا أنها لم تكن حبيبة فقط ، بل كانت زوجة ، وهذه الصفة هي التي أتاحت له حرية التعبير ، وهي التي منحته القدرة على اجتياز الحدود في علاقاته بالنساء ، وبالتالي فهي التي تعيننا على إيجاد التفسير المنطقي لكثير من الظواهر والحالات التي نقف معها حائرين عن ادراكها حتى بافتراضنا بأنها مجرد خيال شاعر لا أكثر .

## ٢ ـــــ الموقف الهازل غير المتعمد :

وقد تكون المواقف الهازلة غير متعمدة ، لا يتصنعها صاحب الموقف ويدّعيها ، فهي تحدث اعتباطا من دون علم ولا ترتيب مسبق فهي أشبه بالمفاجأة ، ولكنها موقف يتكون بعد سلسلة أحداث يتخللها حوار ، وأول ما يطالعنا من هذه المواقف



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

موقف عمر في رائيته الشهيرة التي تحدّث عن لقائه( بنعم ) التي أودعها كل مقومات القصة من حوار ، وشخوص ، ومشاهد ومواقف وأحداث ، نقل كل ذلك بدقة عجيبة ومزجه بروح المرح والدعابة ، يقول : (٢١)

أمن آل نُعمٍ أنت غادٍ فمبكرُ　　غداة غــدٍ أم رائحٌ فمهجــــرُ

تم يبدأ الشاعر بقص الأحداث بتسلسل منظم يزيد من تعلقنا وتتبعنا لأحداث القصة ، وبأسلوب ممتع ينساب الحدث من خلاله وكأنه حديث عابر لا يخلو من المواقف الطريفة ، والمفاجآت ، والمفارقات الحلوة التي تضفي جوا مرحا على القصيدة وتزيدإعجابنا بها ، والذي يهمنا في قصة لقائه بـــ (نُعم) في رائيته الشهيرة هذه موقفه حينما كشف أمرهما وتنبه لهما من تنبه من أهلهـــــــــا ، عندها أظهر قدرته على مواجهتهم ، والظهور لهم ( أباديهم) أما أن يفوت الفرصة عليهم ، ويفلت منهم ، وإما أن يواجه مصيره ويدع سيوفهم تنال منه ، وهذا الموقف ذاته يفصح عن ثقة عالـــــــية بالنفس ، وقدرة على مواجهة الموقف :

فلما رأتْ من قد تنبه منهُمُ　　وأيقاظهم قالتْ: أشر كيف تأمــر

فقلتُ : أباديهم فإما أفوتهـــم　　وإما ينال السفُ ثأرا فيثـــــأرُ

فقالت : أتحقيقا لما قال كاشحٌ　　علينا وتصديقا لما كان يؤثـــرُ

فإن كان ما لابدّ منه فغيــرهُ　　من الأمر أدنى للخفاء وأستـــرُ

أقصّ على أختيّ بدء حديثنا　　ومالي من أنْ تعلما متأخـــــرُ

لعلهما أن تطلبا لك مخرجـــا　　وأن ترحبا سرباً بما كنتُ أحضرُ

ولكن سرعان ما نفاجأ بموقف آخر مناقض تماما لموقفه الأول الذي أبدى فيه استعداده للمواجهة والتصدي كبطل يحسن التصرف في مثل هذة المواقف ، أنه موقفه الفعلي الذي وجدناه عليه نهاية المطاف : موقف الهارب المتخفي بثياب إحدى أختيها ، فلنا أن نتصوره خائفا يعدو ، ويتعثر بأذيال ثوبه الذي يبدو فيه مثيرا للضحك ، والسخرية . فأين كل هذا من كلامه السابق المشحون بالثقة والمقدرة ، والحزم ، والتحدي ، إنه موقف هازل قوامه المفارقة المبنية على التناقض الحاد بين الصورتين ، أو الحالتين اللتين كان عليهما عمر في مشهدين من مشاهد قصته مع (نعم) :



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقالت لأختيها : أعينا على فتـــى أتى زائرا والأمر للأمر يُقـــدرُ
فأقبلتا فارتاعتـــا ثم قالتـــا : أقلّـــي عليك اللوم فالخطبُ أيسرُ
فقالت لها الصغرى:سأعطيه مطرفي ودرعي وهذا البرد إن كان يحذرُ
يقوم فيمشي بيننا متنكـــــــرا فلا سرّنا يفشو ولا هو يظـــهرُ
فكان مِجنّـــي دون من كنتُ أتقـــي ثلاثُ شخوصٍ كاعبان ومعصرُ
فلمّا أجزنا ساحة الحي قلنَ لـــي : أما تتقي الأعداءَ والليلُ مقمـرُ
وقلن : أهذا دأبك الدهرُ ســـادرا أما تستحي أو ترعوي أو تفكـرُ
إذا جئتَ فامنح طرف عينيك غيرنـا لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظرُ

وتلخيصا للكلام السابق نستطيع أن نقول: إن الموقف الهازل يكمن هنا في أمرين : أولهما : المفارقة الحاصلة في إدراك التناقض بين موقفين أو حالتين متباينتين تماما كما في مغامرته مع نعم التي أظهرته في صورتين متناقضتين : صورة الفارس المتصدي ، وصورة الهارب الخائف المتخفي . وثانيهما : الصورة الهزلية التي كان عليها عندما هرب متخفيا متنكرا بثياب إحدى الفتاتين بعد أن اصطحبنه خاج الحي ، وهنّ يسمعنهُ كلمات التأنيب ويتغامزن عليه ، ويستنكرن تصرفه ، ولنـــا أن نتصوره في هيئته الجديدة تلك خائفا متلفتا تقوده الفتاتان وسط كلمات السخط واللوم والسخرية ، وهو يستمع اليهن صاغرا لا حول ولا قوة له .

وفي قصيدة أخرى يطالعنا عمر بموقف هزلي آخر يبدو فيه ناسيا أو متناسيا محبوبته كعادته ، فتستغل بدورها هذا الوضع ، وتبدأ بالمماطلة والعبث بمشاعره ، وإبداء الصد والتمنع ، وكأنـــها تريد أن تقتص منه ، وتجازيه على نسيانه أو تناسيه لها ، كل ذلك يجري بأسلوب المداعبة وبجو من المرح والتندر ، وبما وجدته مناسبا تماما لموقفه منها ، وتنكره لها . يقول عمر فـــي قصيدته : [٢٢]

أصبح القلبُ في الجمال رهينـا مقـصدا يوم فارق الظاعنينـا
عجلتْ حُمـّة الفراق علينـــا برحيلٍ ولم نخفْ أن تبينـــا
لم يَرُعني إلاالفتـــــاة ، وإلاّ دمعها في الرّداء سحّا سنيـــا



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مطلع القصيدة يحكي لنا قصة فراق ووداع ورحيل ، وما صحب ذلك من دموع سواجم من جانب الفتاة ، وألم وحسرة من جانبه هو ، وتدور الأيام ، وتأتي المواسم إذا به يلقاها بمكة من جديد بعد زمن في إحد المواسم ، فيتجاهلها لأنه نسيها ، وربما تناساها متعمدا لإثارة غيرتها وغضبـــــــــــــها ، ومعرفة رد فعل ذلك عليها :

قادهُ الطرفُ يوم مرّ الى الحيـــ ن ِ جهارا ولم يَخف ْ أن يحينـــــا

فإذا نعجـــــة ٌتُراعي نعا جـــا ومهاً بُهـــج المناظر عـــينـــــــا

قلت ُ: من أنتم: فصدت ْ وقالت ْ: أمبدّ ٌ سؤالك َ العالمينـــــــــــا

والتجاهل يتضح من خلال استعماله لأسلوب الإستفهام ( من أنتم ) وتبدأ هي اجابتها اللاذعـــة الساخرة من سؤاله ، إذ تقول : ( أمبد سؤالك العامينا ) والواضح أنها أجابت عن سؤاله بسؤال آخر ، وهذا في ذاته سخرية ، إذ أنها بذلك قد حادت عن الجدية باتخاذها أسلوبا مخالفا لما تعـــارف عليه ، أما مضمون جوابها المتسائل فقد حمل دلالة العبث والسخرية منه ومن سؤاله ، وكأني بها تقول له: (سؤالك هذا تقوله لكل الناس أينما وجدتهم ؟ ) وفي ذلك تعريض وتلميح الى أنه متعدد العلاقات ، وقلما يثبت بوفائه لواحدة منهن ، فسؤاله هذا يتكرر ، ويطرحه على الكثيرات غيرها .

لقد أدركت هي أنه تجاهلها ، وأدعى عدم معرفته بها ، فبدأت تعرفه بنفسها شيئا فشيئا بشكل غير مباشر ، وبأسلوب لا يخلو من دعابة ، ، فقالت : وكأني بها ضاحكة غامزة ملمحة تذكره بنفسها ، وقد أدركت أنه ربما تناساها عن عمد ليغيظها (نحن من ساكني العراق ، وقبـــلها كنا نسكن مكة حينا ، هل عرفتنا ؟ أم نعرّفك أكثر ، وها نحن قد صدقناك القول وأجبنا عن سؤالك ، فمن أنت ؟ قل لنا ؟ ربما نتعرف عليك إذ تكشف عن نفسك . ) . كل هذا وهي على معرفة تامة به ، ولكنها تجاهلته ، وادعت خلاف ما تعرف كي تجاريه في تجاهله لها ، وتظل تعبث به ، وتلهو كما تشاء حتى إذا بلغت من ذلك مأربا أعلمته يقينا أنها عرفته بسمة ظاهرة لا تخفى على أحد . سواد ثنيتيه ، وفي ذلك تلميح للحادث الذي فقد عمر فيه ثنيته:



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلتُ: بالله ذي الجلالة لمـــّـــا　　إن تبلت الفؤاد إن تُصدقينـــا
أيّ ُمَن تجمعُ المواسم قولي　　وأبيني لنا ولا تكتمينـــــــــا
نحنُ من ساكن العراق وكنـــا　　قبلها قاطنين مكة حينـــــا
قد صدقناك أن سألت فمن أنـــــــــت عسى أن يجرّشأنا شؤونا
وترى أننا عرفناك بالنّـــعـــــــــــت بظنٍ وما قلنا يقينـــا
بسواد الثنيتيـــــن ونعـــــتٍ　　قد نراهُ لناظرٍ مستبينـــــا

إذن فنحن أمام موقفين هازلين ، هما :

١ ــ موقف البطل ، وهو هنا موقف الناسي من غير عمد أو المتناسي عن عمد .

٢ ــ موقف المرأة الحبيبة ، وقد أدركت تجاهله لها أو نسيانه فأرادت أن تبادله موقفا بموقف .

## ــ الحـــــــوار :

وقد يتجلى طابع الهزل والدعابة من خلال أسلوب الحوار الذي اعتمده الشاعر المتغزل عنصرا مهما في قصته الهزلية ، والمعروف أن الشاعر يلجأ الى الحوار لوصف الشخصيات ، وللكشف عن الأحداث وتطويرها ، ومن هنا كثر استخدامه عند شعراء الغزل الذين اعتمدوا القص أسلوبا أساسيا في غزلهم ، وعمر بن أبي ربيعة أكثر شعراء الغزل اجتهادا ، وتفننا في استخدامه للحوار والعرض القصصي ، وقد مزج كل ذلك بروح الخفة ، والمرح فجاء حواره عفويا سهـــلا بعيدا عن الصقل والتمحيص ، وذلك لأن طبيعة الشاعر النفسية تميل الى هذا الطا بـــع الـــــلاهي المرح ، وتود أن تقدم الأشياء على طبيعتها دون تعقيد ، وافتعال ، فجاءت عروضه أشـــــبه ما يكون بمسرحيات أو مواقف ضاحكة . (٢٣)

ويتنوع الحوار عند عمر تبعا للشخصيات المتحاورة ، فقد يقتصر الحوار على شخصـــين وقد تشترك شخصيات أخرى وفقا لما يتطلبه الموقف وما يفرضه الحدث ، وقد يطول الحوار وقد يقصر وفي كل الأحوال لا يخلو من لمحة ظرف وخفة .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأول ما يطالعنا من ذلك ، هذا الحوار الذي يجريه الشاعر بين إحدى صاحباته وجـــــــاراتها يصور من خلاله قلق هذه المرأة وحيرتها وتساؤلها المستمر ، لأنها تظن أن عمر صـــــــــــد عنها ، وجانبها ، ويبدأ الشاعر الحوار على لسانها ليكشف عن حالة القلق التي ساورتها ، فيقول : (٢٤)

للتي قالتْ لجارتـــــها　　ويح قلبي ما دهى عمر ؟

فيمَ أمسى لا يكلمنـــــا　　وإذا ناطقتهُ بَـــســـــــرا

أبـــه عُتبـــى فأعتبـــهُ　　أم به صبرٌ فقد صبـــــــــرا

أم حديثٌ جاءهُ كذبٌ　　أم به هجرٌفقد هجـــــــــرا

أم لقولٍ قالهُ كاشحٌ　　كاذبٌ ياليتهُ قـــُبـــــــــرا

بدأ الشاعر حوار الحبيبة لجارتها بسيل من التساؤلات التي كشفت عن قلقها وحيرتها ، ويظـــــــــهر ذلك في تنويعه لأدوات الأستفهام ، وتأتي جميعا لتحقيق سؤال واحد يظل يشغل بال الحبيبـــــــة في كل الأبيات ، ولا يخفى على أحد ما لهذا التنوع في صيغة الأسئلة ، واختلاف أدواتها من دور في تنشيط الحركة في القصيدة ، وإضفاء حيوية على المشهد الذي يفضي اليه الحوار .

ويلاحظ أن هذا الجانب من الحوار ــ وهو الجانب الأول الذي تبدأه الحبيبة ــ لا يخلـــو من حدّة نابعة من حالة القلق والتوتر التي كانت عليها تلك المرأة ، فهي تتساءل ، وتكرر السؤال ولا تنتظر جوابا ، بل تخمن جوابا من عندها ، فتُسمعه لمن حولها ، فإذا انتقلنا الى الجانب الآخر من الحوار ــ وهو رد جارتها عليها ــ نراه لطيفا مرحا فيه الكثير من الدعابة ، والظرف ، وكأنـــها تعمدت أن تخفف من حدتها وغضبها بعد أن أدركت أن كل شكوكها تصدر عن وهم وليس لها ما يبررها ، فبدأت بترديد أقوالها السابقة على مسامعها مرة أخرى في محاولة منها لإيقاف ثـــورة القلق وهي تعرف أن ما ادعته(حبيبة عمر ) يفتقد الى الجدية والصدق ، وهو حالة من حا لاتها المتكررة مع عمر ، وربما تكون قد افتعلت الأمر كله ، وادعت الحيرة ، وهكذا بدأت توجهها الى ما يفيدها ، ويوقع عمر في حبالها كما أرادت وتمنت ، إذ يقول على لسانها :



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأجابت في ملاطفـــــةٍ أسرعت فيه لها الحَـــوَرا
إنّي إن لم أمتْ عجلاً أرتجي أن راح أو بكـــــرا
فإذا ما راح فاستلمـــــي إن دنا في طوفه الحَـــجَـرا
وأشفـــــّي البردعنك له كـــي تُـشوّقيه إذا نظـــــرا

فإذا ما تمكنت منه وحصل ما تمنت تغير الموقف ومعه الحوار ، وإذا بها تتمنع وتصد ، وتتصنع الحيل لتشعره أنها لا تأبه بوجوده ، فكان هذا الحوار:

ثم قالت للتي معهـــا لا تديمي نحوهُ النظـــــــرا
خالسيه أخت في خفرٍ فوعَيتُ القول إذ وقـــــــرا
إنّه يا أختِ يصرمنا أنْ قضى من حاجةٍ وطـــرا
قلتُ قد أعطيت منزلة ما أرى عندي لها خـــَطَـــرا
فأنيلي عاشقا دنـِفـــا ثمّ أخزى الله من كفـــــــرا

وأخيرا أدخل الشاعر نفسه في الحوار الذي دار بين الفتاتين ليبين لنا أن كل ما ادعته الحبيبة إنما هو وهم وظن وإنها عنده بمنزلة لا يضاهيها أحد .

طرافة الحوار إذن نابعة من طرافة الموقف بأكمله ، وطرافة الحدث نفسه ، وخلوه من التوتـــــر والتعقيد الذي قد يشغل النفس عن إدراك كل ما هو طريف . لقد أمتعنا الحوار بما تضمنه مـــــن أسئلة متنوعة ، جادة حينا ، وهازلة حينا آخر ، ثم الأجوبة المفتعلة التي أعقبتها . كل هذا يجري عفويا سهلا دون تكلف أو افتعال .

إن الحوار في شعر عمر هو مجرد نقل لأحاديث تدور في موضوع معين وكثيرا ما يخلو من روح الفن [٢٥]تماما ، وغالبا ما يكون موضوعا طريفا فيه الكثير من الدعابة والهزل مما يشغل النساء اللاهيات في مجالسهن الخاصة ، وقد يعتمد فيه عمر أسلوب الرواية ( قـــلت وقالـــــت ) وبإشراك أكثر من شخص أحيانا للتوسع في رواية الحدث ، وإتاحة المجال لإدخال أحـــــداث وتصورات ، ومفاجآت ومواقف جديدة ، ومن هنا يكتسي النص بثوب الظرف والخفة .

وفي دالية عمر يطالعنا مثل هذا الحوار الممتع اللاهي والذي يدور بين هند وصاحباتها اللاهيات ، ثم بينها وبين عمر إذ يضمر كل منهما الود لصاحبه فيدعي



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلاف ذلك بما ينبئ بطرافة الموقف وعدم جديته ،ويفصح عن ظرف المتحاورين ، وطرافة الحدث ، إذ يكشف عن بعض خصوصيات المرأة ، وما تحسه في أعماقها نحو الرجل ، وتصرفها حيال ذلك الإحساس ، وهذا في ذاته عالم طريف وممتع ، والأطرف فيه محاولة البحث عنه وكشفه عن طريق موقف أو حوار ، أو صورة أو شخصية .... الخ . يقول عمر ، والحوار هنا بين هند وصاحباتها : (٢٦)

ليت هندا أنجزتنا ما تعـد ْ وشفت ْأنفسنا مما تجـــــد ْ
واستبدت ْمرّة ً واحـــــدة ً إنّما العاجز من لا يستبـــد ْ
زعموها سألت جاراتهـــا وتعرتْ ذات يوم ٍ تبتـــــرد ْ
أكما ينعُتني تُبصرننـــــي عمركن ّ الله أم لا يقتصـــد ْ
فتضاحكن وقد قلــن لهـا حسن ٌ في كل ّعين ٍمن تـــود ْ

ونلاحظ أن الحوار ينساب بينهن كلاما عابرا بسيطا قريبا من لغة الحياة اليومية ، لا سيما عندما يسوق الشاعر عبارات مألوفة شائعة كقولة : ( حسن في كل عين من تود ) ، ( إنما العاجز من لا يستبد ) حين يجعلها تصدر من إحدى النساء وسط الضحك الصاخب ، والجو اللاهي المرح،وهذا الحوار الذي اتخذ طابعا طابعا لاهيا مرحا سرعان ما ينقلنا الى محاورة أخرى بينه، وبين هــند يعتمد فيها عنصر الترقب ، والمفاجأة ، وهو عنصر آخر من العناصر التي يبدو فيها الطابع الهزلي واضحا ، وتنقلنا المفاجأة الى حوار آخر يبدو فيه عنصر الدعابة أكثــر وضوحا ، إذ يقــول :

ولقد أذكر إذ قيــل لـــــها ودموعي فوق خدّي تطـرّد ْ
قلت ُ:من أنت ؟ فقالت:أنا من شــفــّه الوجد وأبلاه الكمــد ْ
نحن ُأهل الخيف من أهل منى ما لمقتول ٍقتلناه ُ قـــــود ْ
قلت ُ: أهلا أنتم ُ بغيتنـــــا فتسمين فقالت ْ: أنا هنـــــد ْ
إنّما أهلك جيران ٌ لنـــــا إنّما نحن ُوهم شيءٌ أحـــــد ْ
حدثونا أنّها لي نفـــثـــت ْ عُــقدا يا حبذا تلك العقـــد ْ



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحوار يبدأ بينهما حالما يتفاجأ برؤيتها ، فيبدو وكأنه ينكر وجودها ، فهو يبدأ كلامه معـــها بالسؤال عنها ( من أنت ) سؤال المنكر المتناسي ، وبما يثير غضبها وغيرتها ، وهذا الموقـــف (موقف العارف المتجاهل ) عنصر آخر من عناصر الهزل في القصيدة ، إذ أخرج الأمر جميعه من دائرة الجد ومنحه شيئا من التصنع والدعابة ، ثم يأتي ردها موازيا لموقفه الهازل المتنـــكر ، فإذا بها تستخف بسؤاله متغامزة ملمحة الى أنها عارفة بتجاهله لها ، وعارفة أيضا بولعه الكبير بها ، وتذكـــّره بأمور لاشك يعرفها كقولها له : (أنا من شفـــّه الوجد ) ، ( أنا من أهل الخيف ،من أهل منى ... ) ويلاحظ هنا تغير لهجتها وهي تجيب على سؤاله الذي أدركت منه تجاهله لـــــها ، واستخفافه بها حين قال من أنت ؟ فأجابت في المرة الأولى إجابة الضعيف المنهك الذي لا حول له ولا قوة : ( أنا من شفه الوجد وأبلاه الكمد ) ثم تغيرت لهجتها الى ما يشبه التهديد والتـــحدي وهي تواصل الجواب قائلة : ( نحن من أهل منى ، وعليك أن تخاف فليس لمقتول لدينا ديـــّـــــة .. ) ويلاحظ هنا حصول التناقض بين القولين ، أو بين الاسلوبين ، فمن كان مقتولا أصبح قاتـــــلا ، ومن كان مظلوما أصبح ظالما ، وهذا التغير في الرد ، والتناقض في القول أخرج الأمر مخرجا هزليا ، وأبعده عن الجدية ، وخلق نوعا من المفارقة الطريفة ، وعلى قدر طرافة قولها يقـــبل التحدي حين يأتي رد فعله طريفا بمثل طرافة قولها ، إذ يقول : ( أهلا أنتم بغيتنا ) وكأني بـــه يصرخ بأعلى صوته قاصدا إثارتها : ( أهلا أنت من أبحث عنها ، فأنا رجل يريد الموت ويسعى اليه إن كان يوصله للمحبوب .... ) إنها مزحة ودعابة قصدها الشاعر ليداعب محبوبته التـــي مازحته بدورها ، ويختتم عمر قصيدته هذه ببيت يلخص فيه عبثية القصيدة بأحداثها وشخوصها ومواقفها ، إذ يقول :

كلّما قلتُ متى ميعادنـــــا ضحكت هندٌ وقالتْ: بعد غدْ

لقد تعددت العناصر الهزلية في قصيدة عمر هذه ، ويمكن إجمالها كالآتي :

١ ــ الموقف الهازل المداعب من جانب الفتيات حينما سألتهنّ عن حقيقة وصف عمر لها بالحسن



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ ــ موقف عمر العارف المتجاهل من هند .

٣ ــ موقف هند الساخر من موقفه السابق .

٤ ــ الحوار الطريف الذي كشف عن هذه المواقف جميعا .

٥ ــ اعتماد الشاعر القفزات السريعة ، والطفرات المفاجئة الخلطفة أسلوبا جديدا للسرد .

٦ ــ الترقب والمفاجأة التي كثيرا ما يفضي اليها الحوار، وتترتب عليها المواقف .

**ــ المفاجـــــأة :**

وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن الطابع الهزلي في القصيدة الغزلية القائمة على القصة والحوار الدرامي بخاصة ، وذلك لتلازم عنصري الحوار والمفاجأة ـــ وهذا ما لمحناه في القصيدة القصصية عند عمر ـــ واقترانهما ببعضهما فهي إما تسبق الحوار ومن ثم تكون وسيلة لخلـــق الحوار ، أو التوسع فيه وتطويره ، أو أن الحوار يخلق مفاجأة ، وبما أن الحوار يتضمـــن شخصيات وآراء ، ومواقف وأحداث كلها تقدم بأسلوب حواري ، فهذا يعني أن الشاعر يوظـــف كل هذه العناصر أحيانا للوصول الى المفاجأة . والذي يهمنا هنا المفاجآت التي توصلنا الى المفارقات الهازلة التي تضفي بدورها جوا مرحا على القصيدة . ويرى البعض أن المفاجأة مـــن أهم الوسائل في إحداث التأثير الشعري ( بل أن الفن يعتمد منطقيا في تأثيره على المفارقـــات الحادة ، ويفيد إفادة من عنصر المفاجأة ) [٢٧]

لقد اعتمد عمر في حواره الدرامي على عنصري المفاجأة والترقب لإحداث المفارقة الهازلة التي ساهمت بدورها في خلق المتعة ، وإضفاء المرح على قصائده . وفي إحدى قصائده يهيء عمر الحوار والحدث لخلق مفاجأة تضفي بدخولها على الوضع القائم شيئا من البهجة ، والرضا والسرور لنفس أسماء الحزينة لفراق عمر،ولنا نحن المترقبين لما يطربنا ، ويداعب نفوسنا . يقول : [٢٨]

تذكرتُ إذ قالت ْغداة سويقةٍ ومقلتُها من شدّة الوجد تدمـــــــعُ

لأترابها ليت المغيري ّإذ دنت ْ به دارهُ منا أتى فيـــــــــودّعُ

فما رمتـــُها حتى دخلتُ فجاءةً عليها وقلبي عند ذاك يـــــــروّعُ



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقلنَ حذار العين لما رأيننـــــــي　　لها : إنّ هذا الأمر أمرٌ سيشنعُ

فلمّا تجلّى الرّوع عنهن قلن لي :　　هلمّ فما عنها لك اليوم مدفـــعُ

وتظهر روعة المفاجأة في اجتهاد عمر لخلق الظروف المناسبة لظهورها ، إذ صور هندا وهـــــــي أشد ما تكون حاجة لرؤيته إذ أفصحت عن رغبتها هذه لأترابها ، ثم يأسها التام من رؤيته مـــــــــرة أخرى بعد ما كان بينهما من وداع ورحيل ، وفي وسط كل هذا يدخل فجأة دون سابق إشارة وسط جو من الفزع والحذر ، ويبدو هذا من لهجة الحوار بينها وبين أترابها ، وكن يداعبنها إذ أبـــــدين شناعة الأمر وعظمه لما وجدن ما بها من قلق واضطراب وخوف .

وفي قصة أخرى يطالعنا عمر بمفارقة جديدة قائمة على مفاجأة مفعمة بروح الدعـــــــــــابة ، إذ يحكي لنا محاولته للإيقاع بإحداهن ، فيعد العدة ، ويتهيأ لذلك الصيد فيختتل ويتخفى ، يصـــطنع الحيل بمهارة وحذق ، كما يفعل الصياد الماهر ، وإذا به يكتشف أن الحبيب متربص به هو الآخر يقول في ذلك : [٢٩]

ما زلتُ أصطادهُ وأختلهُ　　يوما وأدنو له وأكتتمـــــــــه

حتى رأيتُ الحبيب وامقنا　　ينتابنا ماشيا به قـــــدمـــــــه

يطوفُ بالبيت ما يفارقـــه　　قد شفّــهُ حبـّنا فلم يــَرمُــه

إنّها مفارقة قبل أن تكون مفاجأة ، فهو الذي ظل يعدّ العدّة للإيقاع بالصيد ، وحين أيقن أنه موقع به لا محالة ، وفي وسط هذا الغرور والتيه ، ونشوة اقتراب النصر ، تهزّه المفاجأة وتذهله حين يدرك أن من تربص بها تربصت به هي الأخرى ، وربما سبقته الى ذلك ، وإذا بالراصـــدبات مرصودا ، وإذا بالصياد فريسة .

ومن قصائد عمر القائمة على حدث هازل طريف من بدايته حتى نهايته وبكل مواقفه وشخوصه ومشاهده قصيدته التي تحكي قصته مع هند بنت الحارث المرّية ومجموعة فتيات ، وهي لا تخلو أيضا من مفاجأة طريفة ، ومفارقة حلوة ، وخلاصة القصة أن هندا مع صاحبات لها اتفقن مع خالد الدليل أن يأتيهن بعمر وهو في أسوأ حال ليسخرن منه ، ويقضين وقتا ممتعا بصحبته ، على أن يكون هذا اللقاء دون علم منه ، ففكر خالد في حيلة تحقق لهن هذه الأمنية ، فوجد أن



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يخبره أن هناك فتيات بينهن هند لو أراد أن يذهب ويستمع الى حديثهن ، ويتمتع بالنظر اليهن ، ولكنه خشي أن تكتشف الفتيات أمره فأشار عليه خالد أن يتنكر ، ويلبس لبسة أعرابي ، ويتلثم حتى لا يشعرن بوجوده ، ولا يتعرفن الى شخصه ، ففعل ما أمربه ، وذهب الى موعده فأتى الفتيات ، فأنكرن شخصـــه ، وكان هذا باتفاق مسبق مع صديقه وليس عن غفلة منهن ، ومن ثم سألنه أن ينشدهن ، ويحدثهن ، ففعل وأنشدهن لجميل ، والأحوص ، فزاد إعجابهن به ثم طلبن منه المزيد ، ففعل وكانت الغبطة تملأ نفسه لعلمه أنهن غافلات عن شخصه ، ولذلك فقد هنأ بقربهن ، وأيقن أن حيلته قد انطلـــت عليهن فازداد تيها ، وغرورا عليهن ، يقول : [٣٠]

فقلتُ لمطريهن ّبالحسن إنّمـــــــــا ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفـــعا
وأشريتَ فاستشرى وإن كان قد صحا فؤادٌ بأمثال المهـــــى كان موزعا
وهيّجتَ قلبا كان قد ودّع الصـــّبا وأشياعه فاشفع عسى أن تُشفـــّعا
لئن كان ما حدّثتُ حقا فمـــــا أرى كمثل الأولى أطريتَ في الناس أربعا
فقال :تعال انظر فقلت: وكيف لي؟ أخاف مقاما أن يشيع فيشنـــعـــــــا
فقال اكتفل ثم ّالتثم ْ فأ ت باغيـــا فسلـــّم ولا تُكثر بأن تتـــــورعـــا
فإنّي سأخفي العين عنك فلا تُرى مخافة أن يفشو الحديث فيسمعـــــا
فأقبلتُ أهوي مثلما قال صاحبي لموعده أزجي قعـــودا مـــُوقـــــّعا
فلمـــّـــا توافقنا وسلـــّمتُ أشرقتْ وجـــوهٌ زهاها الحـــُسن أن تتقنعـــا
تبالهنَ بالعرفان لما عرفنـــنـــــي وقلنَ : امرؤٌ باغٍ أكـــلّ وأوضعـــا
وقـــرّبـــنَ أسباب الصـــّبا لمتيـــّـــمٍ يقيس ذُراعا كلـــّما قسنَ إصبـــعـــا

حتى الآن نرى عمر مسرورا فرحا بحيلته التي ظن أنها نجحت بأكثر مما كان يتوقع ، وما زاده ثقة بنفسه تقربهن منه وإبداء إعجابهن به ، وإنكارهن لشخصه حتى بدأيبالغ في اقترابه منهن (يقيس ذراعا كلما قسن إصبعا ) وهذه صورة هزلية قائمة على مفارقة طريفة اعتمدت المبالغة كثيرا في إضفاء اللطف على هذه الصورة ، فهذا الرجل المتنكر بثيابه الرّثة يسعى الى الفتيات بوحي من غفلته التامة ، فيقترب منهن كثيرا بحركة جسمية سريعة وخفيفة وهو على ثقة تامة بأنه



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خادع لا مخدوع ، ولنا أن نتصورطرافة المشهد والفتيات على علم أكيد بشخصيته الحقيقية ، وإنما يدفعنه الى ذلك متعمدات لإحداث مزيد من المواقف الهازلة لغرض خلق المتعة .

أنه مشهد كوميدي هازل ، وفي أيامنا هذه نستمتع بمثل هذه المشاهد في العروض المسرحـــــية الكوميدية التي تنقلنا من عالم الجد الى الهزل ، وتحقق لنا المتعة ، وتشعرنا بالتحرر من الواقـــــع ( إذ أنّ اللذة الكبرى التي يجدها المرء في الفكاهة والضحك إنما ترجع في الجانب الأكبر منـــها الى هذا الشعور بالتحرر من الواقع ، والتحلل من الحياة الجدية ، عن طريق الهزل والتفـــكه والمزاح ) [٣١] . ويواصل الشاعر أبياته، أو عرضه المسرحي الكوميدي ، وتأتي المفاجأة الكبرى فتكشف الأسرار ، وتبطل الحيل ، إذ يقول :

فلمّا تنازعنا الأحاديث قلن لي : أخفتَ علينا أن نُغَرّ ونُخدعا
فبالأمس أرسلنا بذلك خالدا إليك وبيّنا له الشأن أجمعا
فما جئتنا إلاّ على وفق موعدٍ على ملأٍ منّا خرجنا له مَعا
رأينا خلاءً من عيونٍ ومجلسا دميثَ الرّبا سهل المحلّة ممرعا
وقلن :كريمٌ نال وصل كرائمٍ فحُق له في اليوم أن يتمتعا

وهذه مفاجأة ما كنا نتوقعها ، فالخادع بات مخدوعا من جانب هند ورفيقاتها ، وأصبح مجـــــــــالا لسخريتهن ، وتندرهن ، والمفاجأة هنا هي التي خلقت الجز الأكبر من المرح في القصيدة ، فضلا عن المواقف المتعمدة ، والحوار الهازل الطريف .

## الخلاصـــة :

قد لا يدرك البعض أن أظرف الشعر ، وأكثره قدرة على الإضحاك ، وأكثره توفرا على النادرة ، والموقف الهازل المرح ، ذلك الذي يأتي ضمن قصة أو حكاية ، وبأسلوب سرد قصصي ، وقـد يعني هذا أن فن الكوميديا غالبا هو فن قصصي ، أو أن العناصر الكوميدية يمكن التعبير عنها واكتشافها في القصة أسهل من الوصف ،



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فمن السهل على أحدنا أن يضحك الآخرين بالتمثيل ، وتقليد الحركات والأصوات ، ولكن ليس من السهل عليه أن يعمد الى تأليف نكتة للغرض ذاتـــه .

فالشاعر الكوميدي إذن أحوج ما يكون في عمله الى البناء الدرامي الذي يمكنه أن يرسم مشاهد تقوم على الحركة والحوار ، وتتعدد فيها الشخوص والمواقف ، وتبرز فيها المفاجآت،والمفارقات ويحدث فيها التناقض ، وتقلب فيها التوقعات ، كل ذلك يتطلبه البناء الدرامي للمشهد الكومـــــــــيدي الهازل ، فالهزل أو فن الأضحاك والدعابة يمكن أن نلمحه في الشعر الذي يحمل طابعا قصصيا أكثر مما نلمحه في الشعر الغنائي غالبا ، فالشاعر المرح الهازل يجد في الشعر الذي يحمل طابعا قصصيا أو نزعة تمثيلية متسعا ، وحرية أكثر للتعبير عن أفكاره الطريفة ، ومواقفه الهازلـــــــــــــة ، وذلك من خلال الأجواء الدرامية التي تسمح بالحركة ، والتنقل ، إضافة الى ما للقص من أهمية في جلاء الغموض ، وجعل النص أقدر على الايحاء (فتكسب به العواطف الذاتية مظـــهر الموضوعية ) : [٣٢]

ومن خلال تتبعنا واستقصا ئنا للقصيدة الغزلية في شعر عمر بن أبي ربيعة وجدنا أن أغلبها قصص شعرية تميزت بخفتها وظرفها ، فهي قصص لاهية عابثة عكـــست الواقع الحجازي المتحضر في مكة آنذاك ، كما عكست واقع الشاعر المتحضر والمرأة الحجازية المتحضرة المترفة ، وقد حاولنا أن نكشف في هذا البحث عن الجوانب الهزلية اللاهية في القصـــيدة العمرية القصصية ، فتتبعنا التقنيات القصصية التي ساعدتنا في الكشف عن ذلك ، وقد كانت متنوعة منها الحوار ، والشخصية ، والمواقف ، والمفاجآت ، وأساليب السرد . لقد حاول الشاعر عمر بن أبي ربيعة أن يعبر عن حالة الظرف في المجتمع الحجازي من خلال القصة المرحة الهازلة التـــــــــــي أودعها قصائده الغزلية ، وقد أبدع في ذلك .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

## هـــــــوامـــش البحـــــث :

١ ــ ينظر : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل ، وينظر :في الشعر الأسلامي والأموي ، عبد القادر القط ، وينظر : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ، وينظر : اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، صلاح الدين الهادي .

٢ ــ الأغاني : ٥ /٣٤٠ .

٣ ــ تاريخ الأدب العربي ، العصر الأسلامي ، شوقي ضيف : ١٤١ .

٤ ــ ينظر : الضحك ، هنري برجسون : ١٥ .

٥ ــ ينظر : الفكاهة في مصر ، شوقي ضيف : ١٦ .

٦ ــ يراجع حول ترجمة حياة عمر : الأغاني (طبعة دار الكتب )٦١/١ ، وفيات الأعيان : ٣٥٣/١ و٣٧٨ . وشرح شواهد المغني : ص ١١ . الشعروالشعراء : ص : ٢١٦ ، خزانـــة الأدب : ٢٤٠/١ ، الأعلام : ٢٥/٥ . سح العيون ، ص : ١٩٨ .

٧ ــ استفدت في هذا التقسيم من بحث بعنوان : ملاحظات حول الشكل في شعر عمر بن أبي ربيعة ، صالح بن رمضان .

٨ ــ ينظر : ديوان عمر : ١٠٣، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٣٨ ، ١٤٥ .

٩ ــ ملامح السرد القصصي في الشعر العربي قبل الأسلام ، حاكم حبيب حرز : ٣١٥ .

١٠ ــ ينظر : ديوان عمر : ٤٨٠ .

١١ ــ ينظر: الحوار عند شعراء الغزل في العصر الأموي ، بدران عبد الحسين البياتي ٣٣، .

١٢ ــ ينظر : الصفحة ( ) من البحث ، وينظر الديوان : ٩٢ .

١٣ ــ ينظر الديوان : ١٥٦ .

١٤ ــ ينظر الديوان : ١٨١ .

١٥ ــ ينظر الديوان : ٣٢٠ .

١٦ ــ ينظر الديوان : ١٥٠ .

١٧ ــ ينظر الديوان : ١٥٥ .

١٨ ــ ينظر الديوان : ٢٧٢ .

١٩ ــ الرأي للدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك في أثناء مناقشة لي معه حول هذا الموضوع



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٠ ــ ينظر الديوان : ٤٨٠ .

٢١ ــ ينظر الديوان : ٩٢ .

٢٢ ــ ينظر الديوان : ٢٩٩ ــ ٣٠١ .

٢٣ ــ ينظر : الحوار في غزل عمر بن أبي ربيعة ، عبد الفتاح نافع : ١٢ .

٢٤ ــ ينظر الديوان : ١٦١ .

٢٥ ــ ينظر الحوار في غزل عمر : ١٣ .

٢٦ ــ ينظر الديوان : ٣٢٠ .

٢٧ ــ إليوت الشاعر الناقد ، ت.ش.ف ، أماثين .

٢٨ ــ ينظر ديوان عمر : ١٨١ .

٢٩ ــ ينظر الديوان : ٢٤٧ .

٣٠ــ ينظر الديوان : ١٧٨ .

٣١ ــ سيكولوجية الضحك ، أحمد عطية الله ، ص : ١٠٦ .

٣٢ ــ النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، ص : ٤٥٤ .

## مصـــــادر البحـــــث

١ ــ اتجاهات الشعر في العصر الأموي ، د . صلاح الدين الهادي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٢ ــ الأغاني ، ابو الفرج الأصفهاني ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، ١٩٦٣ .

٣ ــ الأعلام ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، ط٨ ، بيروت ، ١٩٨٩ .

٤ ــ إليوت : الشاعر الناقد ، ت، ش ، ف ، أماثين ، ترجمة إحسان عباس ، صيدا ، ١٩٨٢ .

٥ ــ تاريخ الأدب العربي ( العصر الاسلامي ) ، شوقي ضيف ، ط٧ ، دار المعارف،القاهرة ، د ت .

٦ ــ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، الدكتور شكري ،ط٥ ،بيروت (دت) .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧ ــ التطور والتجديد في الشعر الأموي ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، ط ٤ ، القاهرة ، ( د. ت ) .

٨ ــ الحوار عند شعراء الغزل في العصر الأموي ، بدران عبد الحسين البياتي ، ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ .

٩ ــ الحوار في غزل عمر بن أبي ربيعة ، الدكتور عبد الفتاح نافع ، الوكالة العربية للتوزيع والنشر ، عمان ، (د.ت) .

١٠ ــ خزانة الأدب ولب ألباب العرب ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (د.ت) .

١١ ــ ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٣ ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

١٢ ــ سيكولوجية الضحك ، أحمد عطية الله، ط٢ ،دار النهضة العربية، ١٩٦٥ .

١٣ ــ الشعر والشعراء، أبن قتيبة الدينوري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

١٤ ــ الضحك،هنري برجسون،ترجمة : سامي الدروبي ، عبد الله النديم ، (د.ت)

١٥ ــ الفكاهة في مصر ، الدكتور شوقي ضيف ، دار الهلال ، ١٩٥٨

١٦ ــ في الشعر الإسلامي والأموي ، الدكتور عبد القادر القط ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

١٧ ــ ملاحظات حول الشكل في شعر عمربن أبي ربيعة ، صالح بن رمضان ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد (٢٨ ) ، ١٩٨٨ .

١٨ ــ ملامح السرد القصصي في الشعر العربي قبل الإسلام ، حاكم حبيب حرز ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .

١٩ ــ النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، ودار العودة ، بيروت ، ١٩٧٣ .

٢٠ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت (د.ت) .



PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com